والتجارة حبط هلكافي بعضها وثبت بعضها والرجاء في المستقبل عظيم

ارجع البصر الى البلاد التي لم تأخذ عن الاوربيين شيئاً من العلم ولم تشترك معهم في شيء من الاعمال كبلاد مراكش هل ترى فيها جمعية خيرية أو دينية أو علمية أو سياسية أو تشاهد فيها شركة تجارية أو زراعية أو صناعية ؟؟ تأمل واعرف الخبر و بنايصه وكيف تستزيد منه واعلم ان الجمعيات والشركات هي المعيار الذي يعرف به تقدم الامم وتأخرها وحياتها وموتها فلا يغرنك القيل والقال ، ولا نبوغ بعض الأفراد في بعض العلوم أو الأعمال ، فان هؤلاء النابغين اذا لم يجدوا في أمتهم جمعيات تعرف قيمتهم ، وتساعدهم على ابراز ثمرات نبوغهم ، يذهب استعدادهم سدى ، ويجزر مده قبل ان يبلغ المدى ، واذا وجدوا ذلك زكا استعدادهم ، وامتد إمدادهم ، وكانوا كجنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، كما أنهم يؤتون أجرهم مرتين ،

الاشربة الروحية

مقالة المقتطف التي وعدنا بنشرها

قلما تجد مائدة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر أو البيرا أو الشمبانيا ولم تولم وليمة من غير أن تشرب عليها أقداح الراح ولا تحسبن ذلك خاصاً بالافرنج بل هو شائع عند كل الأمم حديثهم وقديمهم . فآثار مصر وخرائب بابل وأشعار اليونان وتواريخ الرومان وأخبار الامم الحاضرة والغابرة وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بأن الناس لم ينفكوا عن تعاطي كؤوس الراح من أول عهدهم بين مقل ومكثر ومقلل ومدمن ولم ينفك فضلاؤهم عن التحذير منها والنهي عنها وحجتهم أنها تسكر وتذهب العقل وتتلف المال والصحة . لكن النهي والتحذير لم يأتيا بطائل فلا يزال الناس ينفقون على الخمور اضعاف ما ينفقونه على تعليم أولادهم وينفق بعضهم عليها أكثر مما ينفق على طعامه ولا يزال

الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأنها من المقويات فيقوّون اعتقاد الناس فيها ويزيدون ميلهم اليها فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل نفع الخمور كاف للتكثير عن مضارها؟ هذه مسألة جديرة بالنظر ولا سيما بنظر الأطباء

ولا نريد بالمضار هنا مضارّ السكر لانها تفوق كل ما يمكن ان ينسب إلى الخمر من النفع اضعافاً كثيرة فلا وجه للموازنة بينهما وانما نريد مضارّ الشرب المعتدل أو شرب الخمور على الطعام الذي اعتاده الاوربيون ومن جرى مجراهم واتفق أكثر الاطباء على وصفه لنحاف الاجسام أو للذين ساء هضمهم للطعام

يقصد بالطعام تغذية الجسم و بالشراب تسهيل هضم الطعام حتى يتغذى الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام أو من الشراب لمن يأكل ويشرب . نعم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيرا من بيع بضاعته ففعت المشترين أو اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمور وبائعيها من أغنى أهل الأرض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الاكبر لترويج الخمور في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب لذة للآكل والشارب ولكنها تختلف كثيرا باختلاف الناس وأعمالهم وأحوالهم من الصحة والمرض والراحة والتعب والانس والوحشة وباختلاف الرهط والصحب الى غير ذلك مما لا ضابط له لكن هذه اللذة وان افادت في بعض الاحيان لا تعدّ من النفع المقصود بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حاله بالغذاء الكافي ويؤذى ويضعف وتفسد حاله بقلة الغذاء

ازرع بزرة في التراب واتركها من دون ماء فلا تنبت أو ازرع البزرة في الماء واتركها من دون تراب فلا تنبت وان نبتت ذوت و يبست حالاً لأن نمو البزرة حتى تصير شجرة يقتضي أن تتغذى والغذاء يأتيها من التراب ولكن لا بد من ان يذوب أولا في الماء حتى يمكن من دخول جسمها وتغذيتها فاذا زرعت في التراب وروّيت بالخمر لم تعش ولم تنبت وهذا أمر يستطيع كل أحد امتحانه فيرى ان الخمور لا تذيب الاطعمة على أسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف

عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنهما يتغذيان على أسلوب واحد تقريباً

ولقد أبنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل أن مقياس الحقائق استعمالها والانتفاع بها . وهذه الحقيقة أي ضرر شرب المسكرات مهما كان مقدارها قليلا وجدت لها شركات التأمين على الحياة قضاء كبيراً فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون المسكرات أبداً أكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلا . أي صار للامتناع عن شرب المسكرات قيمة مالية تقدرها شركات التأمين بالدرهم والدينار . ولقد وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا أدل دليل فعلي على ضرر المسكرات ولو وصفها الاطباء واطنبوا بمدحها ونفعها . فاذا عرض اثنان ان « يسوكرا » حياتيهما على مبلغين متساويين من المال وكان سنهما واحداً وأعمالها واحدة وتساوت فيهما كل الشروط التي تشترطها شركات « سوكرتا » الحياة ماعدا شرب المسكرات أي كان أحدهما يشرب الخمور والآخر لا يشربها فان الشركة تفرض على الاول أكثر مما تفرض على الثاني لكي تسوكر حياتيهما على مبلغين متساويين وان دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنت للثاني أكثر مما تضمن للأول كأنها تقول بعبارة تجارية حسابية لا تقبل الشك ولا الريب انه قد ثبت لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكرا اقصر من عمر الذي لا يشرب مسكرا فلا استطيع ان أعاملهما معاملة واحدة وأكون بمأمن من الخسارة ولا بد للذي يشرب المسكر من ان يدفع لي سنويا أكثر مما يدفع من لا يشرب مسكرا لكي اضمن حياتيهما على مبلغين متساويين من المال وهذا وجه يكفي لان يكون فصل الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلا وشربها معتدلا وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حينئذ بل منها نفع

وهذا الحكم العملي التجاري المبني على الاستقراء يؤيده العلم أيضاً قال الكولونل د في أحد أطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثاً في مجلة القرن التاسع عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينهضم بالسرعة التي كان ينهضم بها ولا ها وتفعل أيضاً باعضاء الهضم فتقسيها كما تقسي القطع الفحمية التي توضع فيها فلا يعود فعل الهضم سهلا عليها واذا اختل فعل الهضم اختل فعل التغذية وتقصر

أيضاً بالرئتين والكليتين والكبد والدماغ

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا ينالهم من شربها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلا على عدم الضرر من الشرب المعتدل. ولكن هل قاس أحد قوة هؤلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين المسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها. نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد تضعف قواهم وتختل عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذ ولكن يحدث مثل ذلك بكل من يعتاد شيئاً ثم يفطم نفسه عنه حتى الافيون والحشيش لان اعصابه تصير تنتظر المنبه أو المسكن في الساعة التي اعتادته فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الانقطاع مدة الفته الاعصاب ولم تعد تضطرب منه

وبديهي ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم للتخلص منه كما يجاهد للتخلص من سائر السموم التي تدخله وهذا الجهاد عمل شاق يذهب فيه جانب من قوة الجسم واذا تكرر دخول هذا السم يوما بعد يوم فلا بدَّ من حصول الضرر اخيرًا

وربَّ قائل يقول اننا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بد منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفعل كالخمر والبيرا بل يصفون القوي الفعل كالعرق والكونياك فكيف تقولون بضررها قولا مطلقا من غير قيد والجواب ان الا لكحول الذي هو العنصر الفعال في المسكرات على أنزاعها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواء لاغذاء وخير للطبيب ان يصف حينئذ الا لكحول النقي نفسه لا امزجته المعروفة بالمسكرات وهو اذا وصف كذلك شربه المريض مكرها ولم يجد في شربه لذة ولا رأى في نفسه ميلا اليه بعد الشفاء من المرض. بل انه لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسه ميلاً اليها كما لو شربها لتلذذ بطعمها. اما ما يزعمه بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوضت اركانه الآن. وليس الا لكحول غذاء بل هو سم زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها يجتنب دواما ولا يستعمل الا اذا دعت الحاجة اليه دواء لأن العلم والاستقراء قد أثبتا ذلك